﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الشّورى: 46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الإخبارُ بانتفاءِ الوليِّ بعدَ الإخبارِ بالعذابِ المقيمِ

لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة مشهدَ العذاب للظّالمين، ووَصَفَهُ القرآنُ بأنّه عذاب مقيم، وكانتِ العادةُ جاريةً بأنَّ مَنْ وقعَ في شدَّةٍ وجدَ في الأغلبِ وليًّا ينصرُهُ، أو سبيلًا يُنجيه؛ جاءت هذه الآيةُ لتنفيَ ما اعتاده المشركون في الدّنيا من طلب النّصرة، وبيّنت أنّه لا وليَّ لهُم في الآخرة[1]، ولا سبيلَ للوصول إلى ذلك.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: (ولي) أصلٌ يدلُّ على قُرْبٍ؛ فالوَلْيُ: القُرْبُ، يقالُ: تباعدَ بعدَ ولْيٍ، أي: قُرْبٍ[2]، ومن الباب: المَوْلَى، ولهُ معانٍ؛ منها: الصّاحبُ، والحليفُ، والنّاصرُ، والجارُ، وكلُّ مَنْ ولِيَ أمرَ آخرَ فهو وليُّهُ[3]، والوَلِيُّ لهُ معانٍ كثيرةٌ أيضًا؛ منها: المُحِبُّ، والصَّديقُ، والنَّصيرُ[4]، والمرادُ بالأولياءِ هنا: الأعوانُ والأنصارُ[5].

2) ﴿يُضْلِلِ﴾: (ضلل) أصلٌ يدلُّ على ضياعِ الشَّيءِ وذهابِهِ في غيرِ حقِّهِ[6]، وغيابِ الشَّيءِ في أثناءِ شيءٍ، بحيثُ لا يتميَّزُ هذا عن ذاكَ[7]، يقالُ: ضلَّ الماءُ في اللَّبَنِ، أي: غابَ، وأضلَلْتُ المَيِّتَ: دَفَنْتُهُ، والشَّيءَ: غيَّبْتُهُ، وكأنَّهُ شيءٌ قد ضاعَ[8]، والضَّلالُ بمعنى الضَّياعِ،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 345.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ولي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسَّمين، عمدة الحفّاظ: (ولي).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (ولي).
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 46.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضلل).
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (ضل).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضلل).

ويقال لكلّ عدول عنِ المنهج، عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا، ويُطلَقُ بمعنى العُدولِ عنِ الطَّريقِ المستقيمِ، ويقابلُهُ الهِدايةُ[1]، وهذا هو المرادُ بالضَّلالِ هنا.

3) ﴿سَبِيلٍ﴾: (سبل) أصلٌ يدلُّ على امتدادِ شيءٍ، ومِنْ ذلكَ يقالُ: أسبلَ الزَّرعُ، إذا خرجَ سُنْبُلُهُ، وامتدَّ طولًا[2]، والسَّبيلُ: الطَّريقُ الَّذي فيهِ سُهولةٌ، ويقالُ لسالكِ السَّبيلِ: سابلٌ، ويُستعمَلُ السَّبيلُ لكلِّ ما يُتوصَّلُ بهِ إلى شيءٍ، خيرًا كانَ أو شرًّا[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبرُ ﷻ عن حالٍ آخَرَ للمشركينَ المُعذَّبينَ، فيقولُ: ولم يكنْ لهؤلاءِ الكافرينَ حينَ يُعذِّبُهمُ اللّهُ يومَ القيامةِ أعوانٌ وأنصارٌ يمنعونَهم مِنْ عذابِ اللّه، وينقذونَهم منهُ، فأصنامُهم الَّتي كانوا يعبدونَها لا تضرُّ ولا تنفعُ، ومَنْ يَخْذُلْهُ اللّهُ عن طريقِ الحقِّ فما لَهُ مِنْ طريقٍ إلى الوصولِ إلى الحقِّ في الدُّنيا، ولا إلى الجنَّةِ في الآخرةِ؛ لأنَّ الهدايةَ والإضلالَ بيدِهِ تعالى، دونَ كلِّ أحدٍ سواهُ[4].

الكافرون ليس لهم أعوانٌ وأنصارٌ يمنعونهم من عذاب الله

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ عطفِ ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معطوفٌ على قولِهِ: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾، والغرضُ مِنْ هذا العطفِ: تأكيدُ خلودِهم في العذابِ، وردُّ مزاعمِهم أنَّ آلهتَهم تنفعُهم عندَ اللّهِ[5]، وفي هذا العطف دليلٌ على مزيد ضعف الظّالمين، وعلى كمال قدرتِه سبحانه بأنّه لا يوجد من يعارضُ قدرتَه.

الكافرونَ خالدونَ في العذابِ بلا نصيرٍ

(1) السَّمين، عمدة الحفّاظ: (ضلل).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبل).
(3) الرّاغب، المفردات: (سبل).
(4) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 555، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 215، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 25/ 59.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 130، وأبو موسى، آل حم، ص: 216.

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بفعلِ الكونِ المنفيِّ ﴿وَمَا كَانَ﴾:

نفيُ وجـودِ وليٍّ مِنْ دونِ اللهِ

عُبِّرَ بفعلِ الكونِ المنفيِّ ﴿وَمَا كَانَ﴾ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ للتَّنبيه على أنَّ وجودَ الأولياءِ غيرُ ممكنٍ، ولا يُتصوّر وجودُه أصلًا، وما كان للمشركين أن يُفَكّروا في ذلك، فليسَ المعنى نفيَ وجودِ الوليِّ، وإنَّما المعنى على استحالةِ أنْ يوجَدَ وليٌّ ينصرُهم مِنْ عذابِ اللهِ؛ لأنَّ اللهَ لا يُغالَبُ، ولا يُنتصَرُ منهُ سبحانَهُ[1].

دلالةُ اللّامِ في: ﴿لَهُم﴾:

لا يـمـلـكُ المشركونَ أولياءَ

اللّامُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾ للملكِ والاختصاص تتعلّق بالخبر المُقدّم لـ ﴿كَانَ﴾[2]، فيفيدُ الكلامُ انتفاءَ الأولياءِ الَّذينَ يكونونَ للمشركينَ، فهم لا يملكون من ينصرهم ويدافعُ عنهم، بل هم مُفلِسونَ مِنْ كلِّ مُعينٍ وناصرٍ.

غرضُ تقديمِ ﴿لَهُم﴾:

المـسـارعـةُ في إبـطـالِ اعتقادِ المشركينَ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿لَهُم﴾ على ﴿مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ للاختصاص والعنايةِ بكونِ المنفيِّ متعلِّقًا بهم، وللتَّشويقِ للمؤخَّر، ولأنَّ في المؤخَّرِ نوعَ طولٍ بما معَهُ مِنَ الوصفِ، فتقديمُهُ ربَّما يُخِلُّ بتجاوبِ أطرافِ النّظم، وفيه توبيخ للكافرين على زعمهم أنّ الأصنام تنفعهم في دفع العذاب عنهم.

سرُّ التّعبيرِ بـ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ دون غيرها:

نفيُ الولاية قطعَ كلَّ ما يدور حولَ معاني الرّعاية والنّصرة

آثَر القرآنُ الكريم التَعبيرَ بـ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾ لِما يحمله هذا اللّفظ من معنى القُرْب والمودّة والمعاونة، وكلّها تدور حولَ شدّة العنايةِ والرّعاية للمصالح، وعلى رأسها النّصرةُ؛ لذلك نفى القرآنُ هذه الولاية في قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾؛ لأنّهم كانوا يعتقدون فيها، فقطع

(1) أبو موسى، آل حم، ص: 216.
(2) قباوة، المفصّل، ص: 1722.

القرآنُ عنهم كلّ ما يدور حول معاني الرّعاية والنّصرة من خلال نفي الولاية.

دلالةُ ﴿مِّنْ﴾ في: ﴿مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾:

﴿مِّنْ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾ جيء بها في سياق النَّفي؛ لتأكيدِ نفي وجود أولياءَ لهُم في يوم القيامة[1]، والمقامُ يقتضي هذا التَّوكيدَ؛ مبالغةً في إبطالِ اعتقادِهم أنَّ الأصنامَ تضرُّ وتنفعُ.

انتفاءُ وجودِ أولياء للمشركينَ انتفاءً مؤكَّدًا

سرُّ تنكيرِ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وجمعِهِ:

جيءَ بلفظِ الأولياءِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾ مُنكَّرًا؛ لإفادةِ العمومِ؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياقِ النَّفي تعمُّ، وجاء مجموعًا باعتبار أفراد الكفرة؛ فكأنّه قيل: وما كان لأحد منهم من وليّ، أو باعتبار ما كانوا يدّعون من دون الله منَ الأصنام والأوثان، ويكون الجمع لإفادةِ معنى الاستغراق؛ أي: فما لهُم مِنْ وليٍّ؛ لأنَّ النُّصرةَ إذا انتفَتْ مِنَ الجمعِ انتفَتْ مِنَ الواحدِ مِنْ بابٍ أولى[2].

انتفاءُ أولياءِ المشركينَ انفرادًا واجتماعًا

بلاغةُ الوصفِ بالنُّصرةِ:

وُصِفَ الأولياءُ المنفيّونَ بالنُّصرةِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم﴾؛ للدّلالةِ على أنَّ المرادَ هنا ولايةٌ خاصَّةٌ، وهي ولايةُ النَّصرِ[3]، وإذا كانَ الوليُّ غيرَ قادرٍ على النَّصرِ فهو كَلا وليٍّ[4]، وأيضًا جملةُ ﴿يَنصُرُونَهُم﴾ مِنْ توابعِ معناها: أنَّ الَّذينَ اتَّخذوا أولياءَ مِنْ دونِ اللهِ يحاربونَهُ، وينتصرونَ بآلهتِهم على العزيزِ القادرِ، وها هم الآنَ في العذابِ المقيمِ، ولا يمكنُ أنْ يكونَ لهُم مِنَ اللهِ ناصرٌ[5].

الولايةُ المنفيَّةُ ولايةُ النُّصرةِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 130.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 346.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 130.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 346.
(5) أبو موسى، آل حم، ص: 216.

بلاغةُ صيغةِ المضارعِ ﴿يَنصُرُونَهُم﴾:

أولياءُ المشركينَ لا ينفعونَهم في الدُّنيا ولا في الآخرةِ

جيءَ بصيغةِ المضارعِ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم﴾؛ لبيانِ استمرارِ نفيِ النُّصرةِ وتجدُّدِه، أي: ليسَ لهُم أولياءُ يوجِدونَ نَصْرَهم في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ، لا في الدُّنيا بأنْ يَقدِروا على إنقاذِهم مِنْ وصفِ الظُّلمِ، ولا في الآخرةِ بإنقاذِهم مِنَ العذابِ[1].

بلاغةُ التَّقييدِ بـ ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾:

اللهُ هو الوليُّ الحقُّ

﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ صفةٌ ثانيةٌ للأولياءِ، وهي صفةٌ كاشفةٌ، و﴿مِّن﴾ صلةٌ لتأكيدِ تعلُّقِ ظرفِ ﴿دُونِ﴾ بالفعلِ[2]، وفي الكلامِ تأكيدٌ لنفيِ النّاصرِ، وبيانٌ أنَّهُ وحدَهُ سبحانَهُ القادرُ على دفعِ العذابِ عنِ المشركينَ إنْ شاءَ[3].

دلالةُ التّعبيرِ بلفظِ: ﴿دُونِ﴾:

توبيخُ المشركين في اعتقادهم ما عبدوه من دون الله

أوثِرَ التّعبيرُ بـ ﴿دُونِ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لتوبيخِ المشركين في اعتقادهم ما عبدوه من دون اللّه؛ لأنّ لفظ ﴿دُونِ﴾ يدور معناه حول الحقارة والدّونيّة، وفي هذا دلالةٌ على حقارة ما كان المشركون يعتقدون فيه الولايةَ والنّصرة ومهانته، وفيه بيانٌ لعُلوّه سبحانه على جميع المخلوقات، وأنّها دونه.

سرُّ اختيارِ لفظِ الجلالةِ:

ذو العظمةِ والجلالِ هو الوليّ النّاصر

اختيرَ لفظُ الجلالةِ في قولِ الحقِّ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ لِما يدلُّ عليهِ مِنْ صفاتِ الجلالِ والكمالِ[4]، ومنها القدرةُ والعِزَّةُ، ففي التَّعبيرِ بهِ تأكيدٌ لنفيِ النّاصرِ مِنْ دونِ الحقِّ ﷻ.

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 346، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 548.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 130.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 346.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 346.

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾:

الظّاهرُ أنَّ الواوَ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائل: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٖ﴾ لعطفِ هذهِ الجملةِ على ما قبلَها، ونُكْتَةُ العطفِ: أنَّهُ سبحانَهُ لمّا بيَّنَ ما لهُم، بيَّنَ ما لِمَنِ اتَّصفَ بوصفِهم كائنًا مَنْ كانَ، فكأنَّهُ قالَ: لأنَّهُ هو الَّذي أضلَّهم[1].

اللهُ هو المُضِلُّ لمَنْ يشاءُ

بلاغةُ التَّعبيرِ بالشَّرطِ:

جيءَ بأسلوبِ الشَّرطِ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٖ﴾؛ لإفادةِ الرَّبطِ بينَ إضلالِهِ تعالى وبينَ انتفاءِ السَّبيلِ للمُضَلِّ ربطًا قويًّا لا يتخلَّفُ، لِما عَلِم سبحانه من استعداده للشّرّ والفساد، وارتكابه للشّرور والآثام، وفي ذلكَ حَثٌّ على اللُّجوءِ إليهِ ﷻ للهدايةِ إلى سواءِ السَّبيلِ، ونبذِ الأصنامِ والأوثانِ.

لا هاديَ لمَنْ شاءَ اللهُ إضلالَهُ

نُكْتَةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ ﴿يُضۡلِلِ﴾:

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِهِ تعالى ذِكْرُهُ: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٖ﴾؛ للتَّنبيهِ على المبالغةِ في الإضلالِ، أي: يوجِدُ ضلالَهُ لمن شاء مِن خَلْقه بسابق عِلْمه فيهم.

دلالةُ فَكِّ الإدغامِ في: ﴿يُضۡلِلِ﴾:

جاء الفعل ﴿يُضۡلِلِ﴾ مفكوكًا ولم يأت مُدغمًا؛ مراعاةً لسياق الآية المبنيّ على التّحذير والتّرهيب ممّا وقع فيه المشركون من ضلال بعبادة الأصنام؛ فكان المناسبُ أن يأتي الفعلُ مُظهَرًا من باب التّأكيد على سبيلِ الاستمرارِ، وذلكَ بعدمِ البيانِ لهُ، أو بعدمِ التَّوفيقِ بعدَ البيانِ[2]، وفيه دلالةٌ على أنّ الإنسان هو الذي يحرص على الضّلال، بابتعاده عن كلّ أسباب الهداية، فيزيدُه اللّهُ ضلالًا على ضلاله.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 346.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 346، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 548.

سرُّ إظهارِ لفظِ الجلالةِ:

لا هـــاديَ لمَـنْ أضلَّهُ العظيمُ

الظّاهرُ أنْ يقالَ: (ومَنْ يُضلِلْهُ) بإضمارِ لفظِ الجلالةِ لتقدُّمِ ذِكْرِه، وإنَّما عُدِلَ إلى إظهارِهِ في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾؛ لتقويةِ الإضلالِ بكونِهِ صادرًا مِنْ ذي العظَمةِ والجلالِ[1]، ولتستَقِلَّ الجملةُ، وتكونَ تذييلًا يَجْري مَجْرَى الأمثالِ.

سرُّ إيثارِ الجملةِ الاسميَّةِ على الفعليَّةِ:

أوثِرَتِ الاسميَّةُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ على الفعليَّةِ، فلم يُقَلْ: (فلا يُهدَى) أو نحوُ ذلكَ؛ لِما تفيدُهُ الاسميَّةُ مِنْ أنَّ انتفاءَ السَّبيلِ أمرٌ ثابتٌ دائمٌ، لا شكَّ فيه.

معنى الفاءِ في: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾:

ارتــبــاطُ فـعـلِ الشَّرطِ بجوابِهِ

الفاءُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ رابطةٌ لجوابِ الشَّرطِ[2]، فتفيدُ تقويةَ الاتِّصالِ بينَ فعلِ الشَّرطِ وبينَ جوابِه، وفي ذلك دلالةٌ على زيادةِ التّوكيدِ للمعنى المرادِ من قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ أي: فليس له سبيلٌ للوصولِ إلى الهدايةِ ودفعِ الضّلالِ.

دلالةُ اللّامِ في: ﴿لَهُۥ﴾:

اللّامُ الجارَّةُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ للملكِ، فتفيدُ بمعونةِ السِّياقِ أنَّ مَنْ أضلَّهُ اللهُ تعالى لا يملكُ سبيلًا إلى الهدايةِ.

سرُّ تقديمِ ﴿لَهُۥ﴾ على ﴿مِن سَبِيلٍ﴾:

العنايةُ بإيقاعِ النّفي على كلّ السّبل له

قُدِّمَ ﴿لَهُۥ﴾ على ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾؛ للعنايةِ بإيقاعِ النَّفي على شيءٍ يختصُّ بهم، والتَّشويقِ للمؤخَّرِ، ولِما في تأخيرِ ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ مِنْ رِعايةِ الفاصلةِ.

دلالةُ ﴿مِن﴾ في ﴿مِن سَبِيلٍ﴾:

لا أملَ في هدايةِ مَنْ أضلَّهُ اللهُ

﴿مِن﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ صلةٌ لتوكيدِ النَّفي

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 346.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 48.

المستفادِ مِنْ (ما)، وفي ذلكَ مبالغةٌ في بيانِ أنَّ مَنْ أضلَّهُ ذو العظمةِ والجلالِ فلا هاديَ لهُ[1]، إذ تفيدُ ﴿مِن﴾ الدّاخلةُ على النَّكرةِ المنفيَّةِ أنَّهُ قد استُقصِيَ البحثُ عن سبيلٍ لهذا الضّالِّ، فلم يوقَفْ عليهِ.

نُكْتَةُ تنكيرِ ﴿سَبِيلٍ﴾:

كلُّ طُرُقِ الهدايةِ مسدودةٌ في وجهِ مَنْ أضلَّهُ اللهُ

تنكيرُ ﴿سَبِيلٍ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ للعموم؛ لأنَّ النَّكرةَ في سياقِ النَّفيِ تعُمُّ، فيشملُ كلَّ سبيلٍ مُخلِّصٍ مِنَ الضَّلالِ وآثارِهِ[2]، والمعنى: فما لَهُ مِنْ طريقٍ يصلُ بهِ إلى الحقِّ في الدُّنيا، والجنَّةِ في الآخرةِ؛ لأنَّهُ قد سُدَّتْ عليهِ طُرُقُ النَّجاةِ[3].

بلاغةُ التَّذييلِ في جملةِ الفاصلةِ:

لا وليَّ ينصرُ المشركينَ، ولا سبيلَ لخلاصِهم

قولُهُ تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ تذييلٌ لقولِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، والغرضُ منهُ توكيدُ معناهُ[4]؛ إذِ انتفاءُ السَّبيلِ يشملُ انتفاءَ الأولياءِ؛ إذِ الوليُّ عادةً سبيلٌ مِنْ سُبُلِ الخلاصِ.

توجيهُ المتشابهِ اللَّفظيِّ:

تشابه قولُهُ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾ فاصلةُ هذه الآية مع قوله قبل ذلك في نفس السّورة: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الشّورى: 44]، وكلّ آيةٍ وُضِعَت في موضعها الدّقيق؛ فلا يَظُنّ البعضُ جوازَ تبادلِ الآيتين لقُرب المعنى منهما؛ لأنّ الآية الأولى لها دلالتُها المناسبة لسياقها، والآية الثّانية كذلك، ولو وُضِعَتْ هذهِ الآيةُ الَّتي هي رأسُ الفصلِ، بإزاءِ هذهِ الآيةِ الَّتي هي خاتمةُ الفصلِ؛ لوُجِدَ الكلامُ واحدًا، وإنْ كانَتْ جملةُ الفاصلةِ وضعَتْ كلمةً مكانَ كلمةٍ، فشقَّتْ للجملةِ طريقًا آخرَ أصابَتْ بهِ مقامَها.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 346، والشّربينيّ، السّراج المنير: 3/ 548.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 130.
(3) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 46.
(4) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 258، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 130.

بيانُ ذلكَ: أنَّ الجملةَ الَّتي هي رأسُ الفصلِ قالَتْ: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [الشورى: 44]، وفي هذا معنى أنَّهُ ليسَ هناكَ أحدٌ يدفعُ عن هذا الَّذي أضلَّهُ اللهُ، وكانَ هذا إيماءً خفيًّا بذكرِ صورةِ الجحيمِ الَّذي حُكِمَ عليهِم به، ثمَّ لمّا تمَّ وضعُهم في الجحيمِ بدخولِ ﴿فِي﴾ على كلمةِ ﴿عَذَابٍ﴾، ثمَّ أُغلِقَتْ عليهِم أبوابُ الجحيمِ بذكرِ كلمةِ ﴿مُّقِيمٍ﴾؛ جاءَتْ كلمةُ ﴿سَبِيلٍ﴾ في آيةِ الخاتمةِ مكانَ كلمةِ (وليٍّ)؛ لأنَّ المرادَ هنا: أنَّهُ لا سبيلَ لهُ إلى الهروبِ، وكلُّ الطُّرُقِ مغلقةٌ، وكلُّ ما يُتوهَّمُ أنَّهُ سبيلٌ للتَّخفيفِ لا وجودَ لهُ، وبهذا التَّغييرِ الطَّفيفِ اختلفَ الحالُ في الجملةِ الَّتي فتحتِ الموقفَ، والجملةِ الَّتي أغلقتِ الموقفَ، وهذا مِنْ أدقِّ أسرارِ البيانِ[1].

وممّا يُذْكَر في بلاغةِ التَّشابهِ: دِقّةُ التّناسبِ لكلّ آيةٍ في موضعها، وأنّ الآيةَ الأولى جاءت بعد قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝٤٣﴾ [الشورى: 43]، وسياقُها فيه دلالةٌ على ولاية الله لمن هُدِيَ بإرشادهم إلى عزائمِ الأمورِ، ناسبَ بعد ذلك نفيُ ولايتِه عمّن أضلّ بقوله: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ﴾ [الشورى: 44]، وأمّا الموضعُ الثّاني فقد جاء مُصَدّرًا بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ﴾ ردًّا على قولهم: ﴿هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ۝٤٤﴾ [الشورى: 44]؛ لذلك ناسبَه التّعبيرُ بقوله: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٖ﴾، وعلى ذلك فلا يوجد تَكرارٌ[2].

❁ الفُروقُ المُعجَمِيَّةُ:

الضَّلالُ والغَيُّ:

الغَـيّ أعـمُّ منَ الضّلال

الفرقُ بينَ الضَّلالِ والغَيِّ: أنَّ الضَّلالَ يعني الضَّياعَ والتِّيهَ، والعُدولَ عنِ القَصْدِ وطريقِ الحقِّ، والغَيَّ يعني الجهلَ بالأمورِ،

(1) أبو موسى، آل حم، ص: 217.

(2) عبد العظيم، استدراكات ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 384.

وفسادَ الرَّأيِ والاعتقادِ، والغَيُّ يُؤدّي إلى الضَّلالِ؛ فمَنْ جَهِلَ بالأمورِ، وفَسَدَ رأيُهُ واعتقادُهُ، جارَ عنِ القَصْدِ، وانحرفَ عنِ الطَّريقِ المُستقيمِ[1]، وقد عُبِّرَ بالإضلالِ هنا؛ لدلالتِهِ على أنَّهُ ﷻ يجعلُ مَنْ يشاءُ جائرًا عن القَصدِ.

(1) زيدان، الفروق اللّغويّة، ص: 683.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"